

٢ - تعليق الدكتور عدنان الخطيب

على العدد الأوّل من المجلة

ما كدتُ اتناول العدد الاول من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، حتى ادهشتني المفاجأة، وملأت نفسي غبطة وحبورا لهذه البداية الجميلة ؛ ولم اكن لاتوقع مبلغها من حسن الاختيار ومن جمال الاخراج ، وما كان عددٌ أوّلٌ من أي مجلة يستطيع حمل كل رغبات مُصدّريه كاملة ؛ وما العدد الاول عادة الا الخطوة الاولى في سبيل الكمال المنشود .

ان النهائي التي ازجيها الى القائمين على المجلة ، بمناسبة صدور العدد الاول ، لا تعني اني رأيت فيه الكمال الذي لا ينفذ معه أي نقد الى جوانبه المتعددة ؛ فليس مثل هذا الكمال بمستطاع ولو توافرت كل الجهود الخيرة من اجله .

ولسي ملاحظات على العدد الاول ليكون أقرب الى الكمال مما صدر عليه ، فانا كنت اتوقع - ولست أزعم بأن رأيي دوما على صواب - ان اقرا شيئا عن الغاية التي دفعت المجمع الاردني الى اصدار المجلة ، وهل هي تحقيق الاهداف التي يرمي اليها المجمع ، أم هي احدى الوسائل الى تحقيقها ، وهل يُفترض في كل من يقع العدد الاول بين يديه ان يكون عارفا بالاغراض السامية التي تقام المجمع الاردني من اجل تحقيقها ؟ !

اليس من حقّ كل من يقرأ عددا اول من مجلة ما ، ان يقرأ فيه موعده مع العدد الثاني - ولو بالأمل - ؟ لا شك ان من حقّه ذلك ، كما من حقّه ان يقرأ خطتها، وهل هي فصلية او نصف سنوية ، ليتمكن من ترقب صدور العدد الثاني ؛ كما ان من حقّه ان يعرف كيف يمكنه الحصول عليه، والثمن الذي يجب ان يدفعه لقاء ذلك . لقد خلا

عدد المجلة حتى من العنوان الذي يتمكّن معه القارئ من مراسلة الإدارة اذا ما احب مراسلتها ؛ لا بل اني افتقدت في المجلة ، وفي باطن غلافها على اقل تقدير ، رقم صندوق بريد المجمع الأردني نفسه !

وهناك أمر آخر ، هو من وجهة نظري في غاية الاهمية ؛ ذلك ان المجلة تصدر عن مؤسسة عامة ، وعن مجمع قام لخدمة اللغة وللمحافظة على سلامتها ؛ ولا يُعقل أن يكون كلّ ما يُنشر فيها معبراً من رأي المؤسسة، او يمثل الرأي الرسمي للمجمع ؛ فلا بد اذن من أن يعلن للناس أن ما يُنشر في المجلة لا يعبر الا عن رأي كاتبه ؛ فيبقى لأيّ واحد أن يناقشه في رأيه وصولاً إلى الحق والصواب المنشود . ومما يتصل بهذا وجوب قيام لجنة المجلة بالتعليق على ما يُنشر في المجلة ، وبخاصة اذا ما كان فيه ما يمسّ بالاغراض الجمعية ، او بأي قرار مجمعي معتمد .

لقد قرأت كلّ ما نُشر بين دفتي العدد الأول ، وسجّلت ملاحظات كثيرة على أكثر موضوعاته ؛ وها اني موجز تلك الملاحظات :

كان بحث الدكتور خليفه عن ابن رشد في أدبه ، أوفى بحث قرائه في موضوعه ، بلغ الكاتب فيه الذروة في تقويم المكانة العلمية، وتحليل شخصية ابن رشد من خلال اتجاهاته الادبية ؛ فهو مشكور على بحثه المتمع .

ويُحسّ الدكتور الدوري عن نشأة الثقافة العربية الاسلامية ، بحث جدّ قيم ؛ واذا كان الكاتب وُصفه بنفسه انه محاولة أولية لرسم الخطوط العامة لتلك النشأة ، فهو بالواقع أكثر من محاولة ؛ انه ثبت بمعالم واضحة مترابطة الاجزاء تنير السبيل لتاريخ انتشار العربية بالاسلام ، وقيام أضخم حضارة عرفت لها البشرية في أقصر زمن يمكن أن تقوم فيه حضارة تزخر بالقيم الانسانية الرفيعة . ان البحث بارقة أمل لاعادة تدوين تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في موسوعة علمية حديثة .

وأما بحث الدكتور سعيدان حول تعريب التعليم الجامعي ، فهو بحث واقعي فذ في أسلوبه ؛ ولكّني رأيت الكاتب يمشي في دروبه وهو شديد الحذر، وكأنه لا يقول كلّ ما في نفسه ؛ ولعلّ ما في نفسه ، لو كتبه ، لا يُرضي الكثيرين .

وفي المجلّة بحث طريف هو بحث الاستاذ تروبو، الذي يرفع به عن نحو العربية بعض مزاعم المستشرقين القدامى ، وقد دأبوا على زرع الشكوك في مختلف الجوانب المتصلة بالحضارة الاسلامية وعلومها . لقد كان الاستاذ تروبو في نقضه زعم المستشرق الالماني مركس منطقياً منهجياً ، بداهه وكان مقولة المستشرق حقيقة ، ثم أخذ ينقض أطرافها جزءاً جزءاً الى ان أعلن خطأ المقولة ، ثم أثبت ارتباط النحو العربي بعلميّ الحديث والفقه ارتباطاً وثيقاً ، دفعه الى تأكيد اعتقاده بأن « علم النحو — هو — أعرب العلوم الاسلامية » . والحمد لله أن بحث مستشرقاً ينفذ بعض مزاعم المستشرقين .

وها اني سأقف قليلا أمام البحث اللغوي الممتع حقاً ؛ إنه بحث الدكتور الأسد ؛ وكم كنت أحب الاصغاء الى الصديق الكريم يبين عن رأيه الطريف يوم عرض مؤتمراً مجمع اللغة العربية لهذا الموضوع في دورته التاسعة والثلاثين . وحسبه في مقالته هذا اثبات ان العرب قالوا : العشرين والثلاثين . . الى آخر اسماء العقود للدلالة على السنوات المضافة الى أحد هذه الاسماء . ولكنّ ليسمح لي الدكتور الأسد أن أقول له : إن الفاظ العقود بالدلالة المشار اليها ، الفاظ شاعرية لا تعطي الدلالة المقصودة الا في الشعر ، وأما في النثر فكل لفظة لا تدلّ الا على سنة بذاتها .

أما ما ذكره من جواز جمع الفاظ العقود بالالف والتاء، مثل : عشرين وعشرينات ، فما أظن أحداً ينكر عليه قوله ؛ والاستاذ الذي استشهد بمقاله في جريدة اخبار اليوم بتاريخ ١٩٧٧/٩/٢١ ما أظنه بحاجة لمن يدافع عن رأيه في تخطئة من يجمع عشرين على عشرينات ؛ وعلى ما اعتقد ، لا يخطئ الا من يريد بالجمع الدلالة على إحدى

السنوات المضافة الى العشرين ، لان الجمع في موطن النسبة خطأ ولا شك ، ولهذا اقر مؤتمر مجمع اللغة العربية في جلسة ١٩٧٣/٢/٢٠ : « ان الفاظ العقود يجوز أن تُجَمَّع بالالف والتاء اذا لُحِجَتْ بها ياء النسب ، فيقال : ثلاثينيات ... ويدل اللفظ حينئذ على الواحد والثلاثين الى التاسع والثلاثين » ولم اسمع احداً يقول بأن جمع ثلاثين على ثلاثينيات خطأ، الا اذا كان يُقصد بالجمع الدلالة المشار اليها في قرار مؤتمر المجمع ؛ لهذا اردف المؤتمر في قرارة نفسه يقول : « وفي هذا المعنى لا يقال : ثلاثينات بغير ياء النسب (١) » . وهذا في رأيي صواب لا يرد عليه اي اعتراض (٢) .

بقي بحث تعريب رموز الوحدات الدولية، للدكتور بدران ؛ إن هذا البحث قيّم ، ولا بد للإفادة منه من عناية فائقة من قبل المختصين في المنظمات العربية التابعة للجامعة العربية ؛ وهو جدير بالآخذ بعين الاعتبار . ولكن اذا كانت مرونة الحرف العربي دُمِغَت صاحب المقال الى اقتراح استخدام صور مستحدثة للحرف من اجل نظام متكامل للوحدات الدولية، فانا اعلق على هذا الاقتراح بأن الحرف العربي على انواع كثيرة شائعة ، وقد لا يكون ثمة من ضرورة لاستخدام صور مستحدثة . ان الفارق العظيم في صورة الحرف العربي الواحد بين الخط الرقعي عنه في الخط النسخي ، فضلا عن الخط الكوفي أو الديواني أو خطي التعليق والثلث ، يُفني عن استحداث كثير من الصور المقترحة .

ولست أريد أن اكيل الثناء على الوصف الرائع والمقارنات الموفقة في بحث « الاندلس في المغرب » . لقد استمتعتُ بقراءته المتعة كلها،

(١) انظر قرار المؤتمر والمذكرات المستند اليها في « كتاب الالفاظ والاساليب » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٧ - وانظر المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع في جلسة المؤتمر في كتاب المؤتمر في دورته التاسعة والثلاثين ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٢) مما يلاحظ ان اكثر من واحد من كتاب العدد الاول استعملوا الفاظ العقود بصيغة الجمع من دون ياء النسب، للدلالة على سنوات منسوبة الى العقد .

ومشيت مع المؤلف في رحلته خطوة خطوة وانادت من بيانه . واذا كان لسي من تعليق على المقال ، فهو ينصبّ على رأي — أرى أن المؤلف قُتِفَ به دون أن يراجع فيه معجبا واحدا ، أو يذكر مصدرا يدعمه — ذكره وهو يشير الى الزخارف والنقوش الاندلسية مُتَمَّا كلامه بجملة : (والمقربصات الرائعة البارزة في الجبص و في الخشب — والمقربصات تعني « النقوش المجسّمة النافرة » وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Corpus) التي تعني « الجسم » . ويخطيء من يدعوها « المقرنسات » أو « المقرنصات » ، فهي كلها مجسمات نافرة) ا وليت المؤلف نظر فيما تحت يده من معجم ، حتى ولو كان « المنجد » أو « الوسيط » أو « متن اللغة » ان لم يكن « التاج » أو « اللسان » . ويكفي أن أنقل من « تكملة » الصاغانى قوله : « القرناس : أنف الجبل ، وسقف مقرنس : عمل على هيئة السلم » . أما صاحب « الصحاح » فقد أورد شعرا لمالك بن خويلد الخناعي ، ذكره صاحب « لسان العرب » منسوباً لمالك بن خالد الهزلي ، وَصَفَ وَعُلًّا فَقَالَ :

نَالِهِ يَبْقَى عَلَى الْإِيَامِ ذُو حَيْدٍ ،
بِمُشْمَخِرٍ بِهِ الظِّيَّانُ وَالْأَسُ
فِي رَأْسٍ شَاهِقَةٍ أَنْبُوبُهَا خُضِرٌ ،
دُونَ السَّمَاءِ لَهُ فِي الْجَوِّ قُرْنَسُ

واذا عرفنا أن « القرناس » لغة في « القرناس » فهل يُصَرِّحُ المؤلف على أن « المقربصات » كانت من جملة الروائع التي رآها في المغرب ! وما هو سندك في هذا الرأي ؟ أرجو انادتي .